الخطاب النهائي

الذي ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٦/٠٩/٤م

بمناسبة الجلسة السنوية لجماعة ألمانيا

✡✡✡✡✡

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين).

إن فئة كبيرة في العالم تتّهم الدينَ بوجه عام في هذه الأيام فيقولون بأن الدين هو أساس الفتن والمفاسد في العالم، لذا إن عددا كبيرا قد ابتعد عن الإسلام، والغالبية الساحقة من هؤلاء المنحرفين هم الذين يعتنقون الديانة المسيحية. يقال إلى يومنا هذا أن النصارى هم الأكثر عددا من بين المنحرفين عن الدين. ولكن الحقيقة أن عدد المنحرفين عن الدين يزداد يوما فيوما بسبب الخارجين من المسيحية، وهم الذين يزيدون عدد المنكرين بوجود الله. ويقال أيضا بأن الدين لا يسدّ حاجاتنا، فلا نرى هدفا من الدين لذا ليس هناك ما يبرر الإيمان بالدين والثبات عليه. ثم يقولون بأن الدين لا ينسجم مع العصر الجديد والتقدم. إن معظم المنتمين إلى المسيحية مسيحيون بالاسم فقط، وعدد الذين يحضرون الكنائس ضئيل جدا. فبالنظر إلى هذا الميل عند الناس وبسبب كثرة الأصوات التي تطالب بالحرية وتخالف أحكام الدين، ونتيجة كثرة المعارضين، لها شرع هؤلاء الناس في إحداث تغييرات أخرى في تعليمهم الأساسي الذي كان قد فسد من قبل.

إن ثاني أكبر ديانة في العالم هو الإسلام، والمسلمون- إلا ما شذ وندر- ينسبون أنفسهم إلى الإسلام على أية حال، سواء أكانوا مسلمين ملتزمين أم لا، ويصلّون صلاة الجمعة أو العيدين على الأقل ويُظهرون إخلاصهم أيضا إذا كانت القضية تتعلق بالشعائر الدينية وشعائر الله وبشخص النبي ﷺ والقرآن الكريم. وقد استغلّ بعضُ المشايخ المغرّضين والمنظماتُ التي تدّعي الإسلام هذه العواطف التي

يكنّها المسلمون ودفعوا فئة منهم إلى أعمال غير لائقة وجعلوهم متطرفين، وحرّضوهم ضد حكومات بلادهم. مما لا شك فيه أن الزعماء في بعض البلاد الإسلامية أيضا مسئولون عن هذا الوضع، فظهرت ردود الأفعال على هذا النحو ضد تصرفاتهم غير اللائقة وعدم أدائهم حقوق الرعية. ولكن الذين استغلوا عواطف عامة الناس نياتهم ليست صالحة فهم أيضا يفعلون كل ذلك تحقيقا لمآربهم الشخصية. ثم نشروا عداوتهم في بلاد غربية مظهرين قوتهم بصورة هجمات انتحارية والقتل وسفك الدماء، وهذا الوضع أدّى إلى انتشار الذعر عن الإسلام في تلك البلاد. وبالنظر إلى هؤلاء الناس لا يزال عدد الذين يعارضون الدين وينكرون وجود الله في تزايد مستمر. فيستغلّون هذا الوضع ويقولون بأن الدين هو سبب الفساد في العالم، وأن الإسلام يحتل مقام الصدارة في هذا المجال، والعياذ بالله. أما نحن الأحمديين فنؤكد في هذا العصر أن فقدانَ الأمن والفتنَ والفساد السائد في العالم حاليا إنما هو نتيجة الانحراف عن الإسلام إذ قد شُوِّه تعليم الإسلام وحُرِّف. لا شك أن المسلمين يسمون أنفسهم مسلمين ولا شك في أن القرآن موجود بصورته الأصلية ولكن المغرّضين شرعوا في تفسيره تفاسير خاطئة واستخدامه لمصالحهم الشخصية. إذًا، لم يفهم القرآنَ أناس يعادون الدينَ، كما لم يدرك حقيقته العاملون بالدين في الظاهر ولا المسلمون ولا الذين يدّعون العمل بالدين. وكما قلت من قبل بأن المسلمين يحتلّون مقام الصدارة في هذا المجال، ولسوء الحظ هيأوا للمعترضين فرصة ليتمادوا في توجيه الاعتراضات إلى الإسلام. إن تعاليم القرآن الكريم قويمة وتطابق الفطرة وتقيم حق كل فئة، وإن مستوى رحمة هذا التعليم وعدله هو ألا ترتكبوا الإجحاف في حق الأعداء أيضا.

لقد ذكرت البارحة بعض الأمور في ضوء تعليم الإسلام الجميل في جلسة ضمّت غير الأحمديين وغير المسلمين، فقال بعدها علنًا معظمُ الحضور الذين كان فيهم أساتذة الجامعات وغيرهم من المثقفين من شرائح مختلفة في المجتمع أن الفكرة التي كانت في أذهاننا عن الإسلام من قبل قد تغيّرت تماما بعد سماعنا اليوم هذا الكلام. وقد علمنا الآن أن الذين يتحدثون ضد الإسلام، وما تقدّمه وسائل الإعلام عن القرآن وعن أسوة النبي ﷺ يختلف جذريا عما سمعناه اليوم. فقال أحدهم: كنتُ نصرانيا من قبل ولكن لم يُطمئنني ديني وصرت ملحدا ولكن بعد أن سمعتُ ما قاله اليوم خليفتُكم قد توصّلت إلى نتيجة أن الإسلام دين مختلف تماما. كنتُ مسيحيا من قبل ثم تركت الدين نهائيا، أما الإسلام فقد عرضتْه وسائل الإعلام بصورة لم أر في حال وجودها حاجة إلى التفكير بشأنه، ولم أفكر في البحث في

أمره قط. ولكن عندما سمعت محاضرة اليوم تغيرت أفكاري تماما عما يقال لنا. وأضاف وقال: إذا قررتُ العودة إلى دين فسأكون مسلما أحمديا فقط.

لماذا يرى الأغيارُ الأحمديين مختلفين عن المسلمين الآخرين؟ يزعم بعض الناس لعل الأحمديين أجروا بعض التغييرات في الإسلام بُغية إطلاع العالم على جماله، ولكن عندما نخبرهم أن إسلامنا هو الإسلام نفسه الذي قدّمه لنا القرآن الكريمُ وما ثبت من أسوة النبي ﷺ يستغربون استغرابا ما بعده استغراب. نقول لهم بأن فساد المسلمين حدث تحقيقا لنبوءة رسول الله ﷺ، وأن عمل المسلمين الأحمديين أيضا علامةُ صدق النبي ﷺ لأنه قد أنبأ بذلك، وقد وعد الله تعالى أن في ذلك الزمن الفاسد الذي يحلّ بالمسلمين سوف يبعث الله تعالى خادما صادقا للنبي ﷺ ليُطلع المسلمين على حقيقة الدين، فسيفنِّد اعتراضات الناس من كلا الجانبين، ويرشد الناس ويخبرهم أن الدين لا يأتي لخلق الفساد في العالم بل إن مهمة الدين هي خلق حبّ الله تعالى والشفقة على عباده. والمعلوم أن الإسلام يروجّ هذا التعليم أكثر من أيّ دين آخر. وإذا قرأنا القرآن الكريم والأحاديث وجدنا أن هذا هو ملخص الإسلام. فإذا كان المسلمون الأحمديون يتراءون مختلفين عن غيرهم فليس سببه أيّ تغيير في تعليم الإسلام الأساسي بل مآله هو فهم تعليمه على حقيقته، وإدراكه كما وضحه لنا إمام الزمان المسيح والمهدي الموعود عليه السلام، الخادم البار والمطيع الصادق لسيدنا محمد رسول الله ﷺ. فقد بيّن عليه السلام لنا أنه إن كنتم تريدون الاستفادة من الدين كما هو حقها ففهموا أولا حقيقته، ثم فكِّروا ما الحاجة إلى الدين. ثم قال عليه السلام: إن كنتم مسلمين فتعلّموا أوجه أفضلية الإسلام على الأديان الأخرى. وإذا أيقنتم بصدق الإسلام فاسعوا جاهدين لأداء حقه كما يريد الإسلام من أتباعه، كما يجب أن تعلموا أن الإسلام لا يطالب فقط أتباعه بل يعطيهم أيضا، ولكن ماذا يعطيهم؟ فقد وضّح لنا المسيح الموعود كيف يحقق الإسلام هدفَ نفخ الحياة بواسطته عليه السلام، وكيف يمكننا نوال الحياة الروحانية، وكيف يريد الله تعالى أن يجعل العالم أمة واحدة بواسطة الإسلام. وسأقدم لكم كل هذه الأمور من خلال مقتبسات من كلام المسيح الموعود عليه السلام فيقول ما تعريبه:

اعلموا يقينا أن الله موجود وله قانون يسمى "الدينُ" بتعبير آخر. قد ظلّت الأديان تأتي من الله تعالى ثم تختفي ثم تأتي مجددا. فمثلا ترون أنواع الغلال مثل القمح وغيره كيف تقرب الانمحاء ثم تنمو مجددا. تُزرع البذرة في الأرض وتتلاشى ولكن من البذرة نفسها ينبت غراس فتتكوّن الحبةُ نفسها كما كانت في البداية ثم تتحول إلى مئات الحبات. إذاً إن تلك الحبات تكون قديمة فلا نستطيع أن نعُدّها حديثة

النبات. والحال نفسه تنطبق على دين صادق بمعنى أنه يكون قديما ولا يكون في مبادئه ما يدل على الحدوث والتكوين الجديد ولكنه مع ذلك يجدَّد دائما.

المراد من قوله عليه السلام أن الأنبياء يأتون بتعليم واحد أي تعليم خلق حب الله تعالى والشفقة على عباده. هذا هو التعليم الذي ظل الأنبياء جميعا يبيّنونه. هذا ما قاله إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ولكن عندما فسدت الأديان كلها، اكتمل الدين مجددا بواسطة النبي ﷺ. أي كان التعليم هو هو ولكنه قدِّم بأسلوب جديد وبصفاء ونقاوة أكثر فأصلح هذا التعليمُ تلك الأديان الفاسدة. ثم أرسل الله تعالى في هذا العصر خادمًا للنبي ﷺ الذي يجدد الدين ويحقق الهدف من الدين ومن قانون الله الذي يريد الله أن ينشره في الأرض.

ثم يذكر المسيح الموعود عليه السلام كيف يجب أن تفهموا الدين ومغزاه ويقول:

إن أصل الدين هو معرفة الله ومعرفة نعمائه سبحانه وتعالى، وفروعه هي الأعمال الصالحة وأزهاره الأخلاق الفاضلة وثماره هي البركات الروحانية والحب اللطيف الذي ينشأ بين الله وعبده. والاستفادة من هذه الثمرة هي نتيجة القداسة الروحانية والطهارة.

فقد وضّح عليه السلام أنه لو حصلت هذه الأشياء الثلاثة أو فُهمت ماهيتها لفُهِم الدين. إن معرفة الله ضرورية فاسعَوا جاهدين أن تعرفوا الله كما يجب وتعرفوا نِعم الله أيضا، وتأملوا فيها. ولأن أغصان هذه الشجرة هي الأعمال الصالحة، فلتنمية الشجرة لا بد من القيام بالأعمال الصالحة، وعندئذ سوف تتفرع منها الأغصان وتحمل ثمارا تتمثل في الأخلاق الفاضلة وتُنال البركات الروحانية وتتسنّى المكانة السامية في العلاقة مع الله تعالى، وهي بمنــــزلة ثمرها، عندها ستنالون بركاتها. هذا حبٌ دقيق وعميق ينشأ بين الله وعبده، ويجب أن ينشأ في الحقيقة. فيقول المسيح الموعود عليه السلام بأنه لا بد من القداسة والطهارة الروحانية لنيل هذه الثمار والاستفادة منها، فيقول عليه السلام:

إن الله سبحانه وتعالى قدوس جدا، وبسبب قداسته لا يحب الرجس، ولأنه رحيم وكريم فلا يريد أن يسير الإنسان على طرق تؤدي إلى الهلاك. فهذه هي عواطفه التي بسببها لا تزال سلسلة الأديان جارية.

أقول: إن الله تعالى يريد أن ينقذ البشر من الهلاك بإرسال الدين ولا يريد أن يوقعهم في الفتنة والابتلاء. والذين يكونون على صلة حقيقية بالله تعالى لا يقربون الفتنة والفساد. عندما يفهم الإنسان هذا الأمر لا يثير سؤالا: ما هي ضرورة الدين؟ بل يسعى لتحقيق الهدف من الدين، ويُنشئ العلاقة مع الله تعالى. يتابع المسيح الموعود عليه السلام:

"فليكن معلوما أن الخصومات المحضة والسب والشتم وقسوة الكلام وبذاءة اللسان التي يستخدمها الناس باسم الدين بناء على ثوائر النفس الأمارة ولا يتنحّون عن سيئاتهم الداخلية ولا ينشئون مع ذلك المحبوب الحقيقي علاقة صادقة، وتهاجم فئةٌ فئةً أخرى كالكلاب بعيدة عن مقتضى الإنسانية وتُبدي وقاحة متناهية تحت عباءة تأييد الدين، فإن هذا الطريق السيئ الذي ليس إلا كهيكل عظمي فقط لا يليق بأن يسمّى دينا."

يقول الناس بأن الدين يتسبب في النـــزاعات والفساد، ولكن المسيح الموعود عليه السلام قال في المقتبس المذكور أن الخصومات والسبب والشتم واستخدام لسان بذيء بحق الآخرين، كل ذلك ناتج عن ثوائر النفس الأمارةِ، وليس الدين هو السبب وراءه. بل الحق أن حالتكم الداخلية تُظهر ذلك، وتبيّن أيضا أنكم لستم على علاقة صادقة مع حبيبكم أي مع الله تعالى. وإن كنتم على علاقة صادقة معه عز وجل لما هاجمتم الآخرين كالكلاب ولما استخدمتم بحق الآخرين لغة بذيئة، ولما قتلتم أناسا أبرياء ولما أزهقتم نفوسا بريئة.

ثم يقول عليه السلام: "من المؤسف حقا أن هؤلاء الناس لا يدرون لماذا خُلقوا في الدنيا، وما هو الهدف الحقيقي والأعظم لحياتهم الوجيزة، بل يبقون قائمين على طبيعة خبيثة ويسمّون العواطف العنيدة دينا. (أي يتّبعون عواطفهم الشخصية ومصالحهم الشخصية ويسمونها دينا. هذا ما يفعله بعض من الزعماء المسلمين والعلماء) ويتصرفون في الدنيا بأخلاق رذيلة ويستخدمون لسانا بذيئا في تأييد إله افتراضي لا يملكون على وجوده دليلا. (هذا ما يرتكبه المسلمون وغيرهم أيضا) فما الفائدة من الدين الذي لا يعبد إلها حيا، بل إن مَثل هذا الإله كمثل جنازة ميّت محمولة على أكتاف الآخرين فقط، وإن زالت الأكتاف من تحت نعشه سقط فورا، وكلّ ما يجنونه من مثل هذا الدين هو العناد وحده. أما خشية الله الحقيقية ومواساة البشر الصادقة التي هي أفضل الخصائل فتتلاشى من طبائعهم نهائيا. وإذا واجهوا شخصا يخالفهم في الدين والعقيدة استعدوا للنيل من حياته وماله وشرفه واضعين هذا الخلاف وحده في الحسبان. وإذا احتاج إليهم أحد من قوم آخرين نبذوا العدل والإنصاف وتقوى الله وراء ظهورهم وهبّوا ليقضوا عليه قضاء نهائيا ويهلكوه. (أي يتخلّون عن مقتضى العدل والإنصاف نهائيا، وهذا ما نجده في المشايخ المعاصرين، فهذه حالة المسلمين دونك غيرهم). وتتلاشى من طبائعهم الرحمة والعدل والمواساة التي هي الفضائل المثلى في فطرة الإنسان، وتسودهم الهمجية والسبُعية القذرة نتيجة شدة العناد، ولا يدرون ما هي الغاية المنشودة من الدين. المسيئون الحقيقيون للدين والقوم هم ذوو السلوك

السيئ الذين لا تهمهم الحقيقة بشيء، ولا المعرفة والطهارة الحقيقيتان ويسمُّون ثوائر النفس دينا، ويهدرون أوقاتهم كلها في الخصومات والنزاعات العبثية والكلام المشين. ولا يتيسر لهم وقت يجب بذله مع الله في العزلة".

المراد من الدين هو حب الله وحسن العلاقات بين الناس، ولكن أصبح الدينُ مُتَّهَمًا بسبب تصرفات بعض الناس السيئة، بينما الهدف من الدين هو أن يكون الإنسان نــزيها من العناد ويتحلى بالأخلاق الفاضلة وبخشية الله والمواساة الصادقة للبشرية، ويكبت جماح ثوائره النفسانية وعبادة الله خالصة لوجهه ﷻ. لا شك أن كل هذه الأمور تدل على ضرورة الدين، لا على عدم ضرورته، وهذا ما كان المسيح الموعود ؑ يريد أن يخلقه فينا. والأحمديون الذين يتحلون بهذه الأمور يختلفون عن الأحمديين الآخرين، فمن واجب كل أحمدي أن يتحلى بها لكي يبقى صيتنا الحسن الشائع عند الآخرين قائما، ثم يجب ألا يقتصر الأمر على صيت حسن فقط بل يجب أن تنتشر أيضا رسالةُ الإسلام الحقيقي في العالم، فيجتمع الناس أكثر فأكثر تحت راية النبي ﷺ. صحيح أن الدين يزوّد الإنسان بهذه الأشياء ولكن ما الدليل على أن الإسلام هو الدين الحق؟ فقد وضع المسيح الموعود ؑ أمامنا معيارا لهذا الغرض وهو أن تروا كيفية علاقتكم بالله تعالى، وهل تظهر الآيات أم لا نتيجة هذه العلاقة، وهل تُقبل أدعيتكم أم لا؟

فيقول ؑ: "إن أصحاب الخوارق والآيات لا يزالون موجودين في الإسلام دون الملل الأخرى. تأمّلوا قليلا، هل كان هذا كله لصالح الإسلام أو لهدف آخر؟ فالآن ثبت الإسلام بعد بعثتي على منارةٍ عليا، صارت المِللُ الآخرى كلها في الحضيض مقابله، لأن الدين الحي هو ذلك الذي تصحبه الآيات المتجددة، أما الدين الذي ليست فيه آياتٌ حية فليس بدين؛ بل هو مجموعة قصص بالية.

(لا شك أن للمسيح الموعود ؑ آيات كثيرة وقد سجّلها في كتبه فيجب ذكرها) يقول ؑ لقد ثبت الإسلام على منارة عليا بعد بعثتي. وبناء على ذلك نشاهد الآيات في كل يوم جديد. ولكن لبلوغ الجماعة الإسلامية الأحمدية منارةً عليا يجب علينا أن نرفع مستوانا، ويجب أن نعمل بحسبما يقتضيه الدين وبما يريد الله تعالى منا. نرى بفضل الله تعالى أن الله تعالى يُري الناس آياتٍ بواسطة المسيح الموعود ؑ. كيف يكشف الله تعالى صدق الأحمدية أي الإسلام الحقيقي بواسطة المسيح الموعود ؑ كما هو مقدّر وكيف ينصر الجماعة؟ أسرد لكم حادثا بهذا الشأن:

يقول داعيتنا من بلد أفريقي اسمه "مالي": اتصل شخص بمركز الجماعة وقال: أنضم إلى الجماعة الأحمدية من اليوم. وعندما سئِل عن سبب البيعة قال: لا يطمئن قلبي للانضمام إلى أية فرقة من فِرق المسلمين نظرا إلى حالة المسلمين الراهنة. كنت أقرأ القرآن والحديث وأسعى جاهدا للعمل بهما ولكن كان في قلبي دائما أن الله تعالى لن يترك هذا الدين على حالته الراهنة بل سيظهر المهدي. وكنت أدرك أن الوقت الراهن هو وقت ظهور المهدي وكنت أدعو أيضا لظهوره. وعندما نمتُ الليلة بعد الدعاء رأيت في المنام أن القمر قد انفصل من السماء وهو نازل إلى الأرض وظل يقترب حتى وصل إلى يدي وصعد منه صوت يقول: لقد ظهر المهدي، وهو يدعو الناس بصوت عال.

فبعد هذه الرؤيا عرفتُ أن مدّعي المهدوية اليوم شخص واحد فقط لذا أرجو أن تأخذوا بيعتي.

عندي مئات الأحداث مثله. أكرمَنا الله تعالى بفضله بحيث وفَّقنا لنكون أحمديين أو وُلدنا في بيوت الأحمديين فأصبحنا أحمديين من الولادة، ولكن ماذا يريد الله تعالى منا؟ هل يكفي ذلك؟ لا، بل يريد الله تعالى أن نُصبح مسلمين حقيقيين. كيف ينبغي أن يكون المسلم الحقيقي؟ وكيف يريد المسيح الموعود عليه السلام أن يرانا بعد أن أصبحنا أحمديين؟ يقول عليه السلام:

"الإسلام يهدف إلى أن يجعل أناسا كثيرين أمثال إبراهيم عليه السلام، فعليكم أن تكونوا إبراهيم. أقول لكم صدقا وحقّا، كونوا أولياء بأنفسكم ولا تكونوا ممن يعبدون الأولياء، وكونوا مرشدين بأنفسكم ولا تكونوا عبدة المرشدين. فاسلكوا تلك السبل. لا شك أن تلك السبل ضيقة ولكن بالدخول بها يحظى الإنسان براحة وسعادة. ولكن من الضروري أن تدخلوا من هذا الباب خفافا جدا. إذا كانت على الرأس صرة كبيرة صعُب الدخول. (وما هي الصرة التي يحملها إنسان عادي؟ هي صرة الأنانية والكبر وسوء الخلق، وقد ازداد سوء الخلق جدا، وهي صرة عدم أداء حقوق الله وحقوق العباد، فلا بد من رمي هذه الصرة للمرور بهذا الباب، قال عليه السلام:) فإن كنتم تريدون أن تمروا من هذا الباب فارموا صرة العلاقات الدنيوية وتقديم الدنيا على الدين. إذا كانت جماعتي تريد أن ترضي الله فعليها أن ترمي هذه الصرة. اعلموا يقينا أنه إن لم تتحلوا بالوفاء والإخلاص لكنتم كاذبين ولن تُعَدّوا صادقين عند الله. فالذي ينبذ الإخلاص ويختار الخيانة سيهلك قبل العدو. إن الله تعالى لا يمكن أن ينخدع ولا يسع أحدا أن يخدعه لذا من الضروري أن تخلقوا صدقا وإخلاصا حقيقيين."

إذاً، معرفة الأحمدي الحقيقي هي بهذا الإخلاص والصدق، وبذلك يمكن أن نُظهر صدق ديننا على العالم. ثم يبيّن المسيح الموعود عليه السلام أنه كيف ينبغي أن يكون المسلم حقيقيا؟ وماذا يريد عليه السلام منا؟ فيقول عليه السلام:

"ما دام الإنسان لا يسأل الله بكونه حنيفا كاملا، ولا يطلب منه وحده، فاعلموا بالتأكيد أنه لا يستحق في الحقيقة أن يسمى مؤمنا صادقا ومسلما حقا. إنما حقيقة الإسلام أن تكون جميع قواه- سواء كانت داخلية أو خارجية- خارَّةً على عتبات الله وحده، (أي يكون مركز جميع مساعينا وأدعيتنا هو الله تعالى. ابذلوا جهودكم لأنه أمرٌ من الله تعالى، ولكن يجب أن يكون إيمانكم وإيقانكم بالله تعالى لدرجة أن كل شيء يفعله الله وليس شخص آخر. قال عليه السلام:) فكما أن محرِّكا كبيرا يشغِّل آلات كثيرة، فمثل ذلك تماما ما لا يجعل الإنسان نفسه تابعا للقوة العظمى لذلك الـمحرِّك العظيم في كل عمل له وحركته وسكونه، أنى له أن يقر بألوهية الله سبحانه وتعالى! وكيف يمكن أن يكون صادقا في قوله بأنه حنيف عند القول: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (الأنعام: ٨٠)، بحيث يكون قلبه أيضًا مائلا إليه كما يقول بلسانه، فهو مسلم لا ريب فيه، وهو مؤمن وحنيف. أما الذي يسأل غيرَ الله ويميل إليه فليتذكر أنه شقي جدًّا ومحروم لأنه سيأتي عليه زمن لن يقدر على الميل إلى الله في الظاهر حتى بدافع الرياء أيضًا."

ثم يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"سينتصر الحق وسيُشرق للإسلام يومٌ نضِر ومُشرقٌ كما أشرق في الماضي. وستطلع تلك الشمس بكمال تام كما طلعت من قبل. ومن المتحتم أن تمنع السماء طلوعها ما لم يُدمِ قلوبَنا الإجهادُ، (لا بد أن نجتهد، ونرفع مستوى تقوانا، ونزداد صلة بالله تعالى، ونتوجّه إلى أداء حق خلْقه) وما لم نتخلّ عن كافة أنواع راحتنا لأجل طلوعها، وما لم نقبل كل ذلة لعزة الإسلام. إن إحياء الإسلام يتطلب منّا فدية! وما أدراكم ما تلك الفدية؟ إنها موتنا في هذا السبيل. وبهذا الموت قد أُنيطتْ حياة الإسلام وحياة المسلمين، وعليه يتوقف تَجلّي الإله الحيّ. وهذا ما يسمى بتعبير آخر الإسلامُ. يريد اللهُ تعالى الآن إحياء هذا الإسلام، ولتحقيق هذا الأمر، كان لا بد من أن يؤسس الله تعالى من عنده مشروعا عظيما فعّالا من كل النواحي. وهذا بالضبط ما فعله الله الحكيم القادر، وذلك من خلال بَعْثِ هذا العبد المتواضع لإصلاح الجنس البشري." (فتح الإسلام)

فنحن الذين نؤمن بالمسيح الموعود عليه السلام يتحتم علينا أن نُري العالَم نماذج الإسلام الحقيقية ونخبره بجعْل أعمالنا وفق تعليم الإسلام بأن حقيقة الدين والإسلام ستنكشف على الدنيا بواسطة خدام المسيح الموعود عليه السلام. لا يُبيّن الإسلام أمورا مفترضة فقط وكلاما عن الأخلاق فقط بل يُوصل العبد إلى الله تعالى، وهذا الإنعام يحظى به المؤمن نتيجة عمله بالدين على وجه حقيقي، وبذلك تُستجاب أدعيته.
يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"الإسلام دين مباركٌ ويهدي إلى الله تعالى بحيث لو اتّبعه أحد بالإخلاص واعتصم بالتعاليم والتوجيهات والوصايا التي وردت في كلام الله المقدس القرآن الكريم لرأى الله تعالى في هذه الدنيا نفسها. ما من وسيلة سوى تعليم القرآن الكريم لمعرفة الله الذي هو مستور عن أعين الدنيا في آلاف الحجب. أما القرآن الكريم فيهدي إلى الله تعالى بواسطة العقل والآيات السماوية بطريق أسهل وأبسط. وفيه بركة وقوة جذبٍ تجذب إلى الله في كل حين وآن كلَّ من يطلبه، وتهبه النور والسكينة والاطمئنان." (هذه هي الأشياء التي يجب أن نتوجّه إليها، ونؤدِّي حقوق الجميع بدْءًا من حقوق أهل بيتنا وحقوق المجتمع وحقوق البشر كلهم وواجباتهم، ونعتبر أداءها من واجبنا، وهذا هو تعليم القرآن الكريم، قال عليه السلام:) وفيه بركة وقوة جذبٍ تجذب إلى الله في كل حين وآن كلَّ من يطلبه، وتهبه النور والسكينة والاطمئنان. والمؤمن الحقيقي بالقرآن الكريم لا يكتفي مثل الفلاسفة بالظن أنه يجب أن يكون لهذا العالم المليء بالحِكَم خالق، بل ينال بصيرة ذاتية ويرى بعين اليقين، بعد أن يتشرّف بالرؤية النـــزيهة، أن ذلك الخالق موجود فعلا. (ليس أنه يجب أن يكون لله وجود، لا يكفيه الدليل العقلي، بل هو يوقن بوجود الله بعد رؤيته، قال عليه السلام:) والحائز على النور من هذا الكلام المقدس لا يقتصر فقط، مثل أتباع العقل، على الزعم أن الله واحد لا شريك له بل يشاهد على صعيد الواقع - بمئات الآيات الساطعة التي تأخذ بيده وتخرجه من الظلمات -أنه لا شريك له في ذاته ولا في صفاته في الحقيقة. وليس هذا فحسب بل يُثبت للدنيا بصورة عملية أن هذا هو إيمانه بالله فعلا. تترسخ في قلبه عظمة وحدانية الله تعالى بحيث يرى الدنيا كلها مقابل مشيئة الله كدودة ميتة بل لا يعتبرها شيئا مطلقا ويعدّها كالمعدوم تماما." (البراهين الأحمدية، الجزء الخامس)

إن أفراد الجماعة الذين ازدادوا إيمانا منتشرون في العالم كله. جاءني تقرير مؤخّرا أن زعيم قرية في أحد البلاد الأفريقية قال لأحد الأحمديين: عليك أن تترك الأحمدية وإلا سأطردك من القرية. فقال: حسنا، فلتطردْني ولكنني لا أستطيع أن أترك الأحمدية. إن لي ربي، ولا شك أنك تملك قوة وسلطة ولكن لا

تنسَ أن ربي أقوى منك. فألقى الله تعالى لهذا القول هيبة في قلب ذلك الزعيم لدرجة أنه قال فورا: لا، لن يُخرجك أحدٌ، فلتفعلْ ما تشاء، ولتبلِّغْ دعوةَ الأحمدية هنا. هذه هي النماذج التي نراها. فلا بد أن نسعى لنيل معرفة الله تعالى ولتوطيد علاقتنا به، ولا بد أن نُوقن بأنه ﷻ يملك جميع القوى والقدرات حتى نخبر العالم، الذي يقول ماذا أعطاكم الدين؟، بأن الدين قد أوصلَنا إلى خالقنا وربَطنا به بعلاقة خاصة.

ثم كيف يهب الدينُ حياة جديدة، وكيف تحقق ذلك بواسطة المسيح الموعود عليه السلام؟ يقول المسيح الموعود عليه السلام بهذا الخصوص:

"أما المهمة التي بعثني الله من أجلها؛ فهي أن أزيل الكدر الحاصل في العلاقة بين الله وخَلْقه، وأرسي بينهما صلة المحبة والإخلاص ثانيةً؛ وأن ألغي الحروب الدينية بإظهار الحق مُرسِيًا دعائم الصلح، وأكشف الحقائق الدينية التي اختفت عن أعين الناس، وأقدم نموذجا للروحانية التي صارت مدفونة تحت ظلمات النفوس، وأكشف- بالحال لا بالقال فقط- تلك القوى الربانية التي تسري في الإنسان ثم تتجلى فيه نتيجة إقباله على الله تعالى أو نتيجة التركيز والدعاء. وفوق كل ذلك، أن أغرس في القوم من جديد؛ غراسًا خالدًا للتوحيدِ- الذي قد اختفى الآن- الخالص النقي اللامع الخالي من أية شائبة من شوائب الشرك. ولكن لن يحدث كل ذلك بقوتي أنا، بل بقدرة الله؛ فهو رب السماء والأرض."

فعُهد إلى المسيح الموعود عليه السلام مهمةُ غرْسِ غراس التوحيد الدائم هذا، كما عُهدت إليه مهمة مواساة الخلق، ومهمة إزالة البعد عن الله تعالى ومهمة تقريب الناس إليه. ونحن الذين نؤمن به من واجبنا أن نتقرب إلى الله تعالى ببذل جميع قدراتنا وقوانا وجهودنا، ونسعى لنيل هذا المقام. يقول عليه السلام:

"فمن ناحيةٍ أرى أن الله تعالى قد ربّاني بيده وشرّفني بوحيه وأودع قلبي حماسا لأن أقوم بمثل هذه الإصلاحات، ومن ناحية ثانية أَعَدّ قلوبا لتكون مستعدة لقبول كلامي. وأرى أن هناك انقلابا عظيما يحدث في الدنيا منذ أن بعثني الله تعالى بأمر منه. فالناس في أوروبا وأميركا- الذين كانوا مولعين بألوهية عيسى- قد بدأ الآن الباحثون منهم يتخلون من تلقاء أنفسهم عن هذا الاعتقاد. والأمة التي كانت معجبة بالأوثان والأصنام منذ زمن أجدادهم؛ قد فهِم معظمهم أن الأوثان ليست شيئا يُعتدّ به. مع أن هؤلاء الناس لا يزالون محرومين من الروحانية ومتشبثين ببعض الكلمات تقليدا فقط، ولكن مما لا شك فيه أنهم خلعوا من أعناقهم حبال آلاف التقاليد السخيفة والبدعات والشرك، وقد وقفوا على عتبات التوحيد." (وقفوا على باب التوحيد وعسى أن يدخلوه)

يقول الطَّيْلا: "إنني آمل أن تدفع رحمة الله الخاصة بعد زمن قريب أناسا كثيرين إلى دار الأمان للتوحيد الصادق والكامل الذي يوهب معه الحبُّ الكاملُ والخوف الكامل والمعرفة الكاملة. إن أملي هذا ليس تخَيُّلِيًّا قط، بل تلقيت هذه البشارة بوحي الله المقدس."

واليوم نرى بفضل الله تعالى أنه تعالى يُقيم في كثير من بلدان العالم أناسا ليفهموا رسالة التوحيد ورسالة المسيح الموعود الطَّيْلا ويقبلوها ويؤمنوا بالإسلام الحقيقي، وهم يكتبون أننا كنا عبدة الأوثان ولكن اليوم نتخلى عن الأوثان ونؤمن بالله الواحد الأحد، ثم يغمرهم الله تعالى برحمته بحيث يرزقهم اليقين بوجوده ويتقبل أدعيتهم فيتولّد فيهم إيمان متجدد ومعرفة متجددة بتوحيد الله تعالى. وليست هذه مجرد القصص، بل مئات الآلاف من الناس الذين يدخلون الجماعة كل سنة يشهدون على ذلك.

لا يوجد لدرء فساد العالم إلا حل واحد وهو أن تنتهي الخلافات والفرقة، وما تدبير الله تعالى لذلك؟ إنما يريد الله تعالى أن يتعلق به عباده ويعيشوا مع بعضهم بالمحبة والرحمة. يقول المسيح الموعود الطَّيْلا عن ذلك:

"كما توجد الوحدة في ذات الله تعالى كذلك يريدها ﷻ في البشر أيضا الذين خُلقوا للعبادة الأبدية. (خُلق البشر لعبادة الله تعالى، وليكونوا عبادا متواضعين، ولا يمكن أن يتأتى ذلك ما لم يُوقنوا بالوحدة وما لم ينخرطوا بسلك الوحدة. ثم قال الطَّيْلا:) والفُرقة بين الأمم التي نشأت في الناس بسبب كثرة نسلهم كانت في الحقيقة تمهيدا لخلق الوحدة الكاملة (تفاوت الشعوبُ المختلفة، وهناك فئات عرقية مختلفة للبشر، قال الطَّيْلا هي لخلق الوحدة) لأن الله تعالى قد أراد أن يخلق في البشر حلقات الوحدة أولا ثم يُدخل الجميع في دائرة الوحدة الكاملة. فجعل الله تعالى الأمم شعوبا مختلفة وخلق الوحدة في كل شعب. وكانت الحكمة وراء ذلك لكي يسهل التعارف بين الأمم ولا تكون هناك أية صعوبة في العلاقات المتبادلة بينهم. ثم حينما حصل التعارف بين أجزاء صغيرة بين الأمم قرّر الله تعالى أن يجعل الأمم كلها أمة واحدة. (أولا كانت قبائل، حين حصل التعارف بين الأسر، ثم بين القبائل، ثم بين البلاد.) قال الطَّيْلا: "ثم حينما حصل التعارف بين أجزاء صغيرة بين الأمم قرر الله تعالى أن يجعل الأمم كلها أمة واحدة. كما يزرع أحد حديقة ويقسم أشجارها على تقسيمات مختلفة، ثم ينشئ حول الحديقة سورا يحيط بالأشجار كلها في حلقة سور واحدة. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فقال: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ أي يا أيها الأنبياء في مختلف أنحاء العالم، إن هؤلاء المسلمين الذين اجتمعوا في هذه الدنيا من أمم مختلفة إنهم أمتكم الواحدة الذين يؤمنون بالجميع، (هنا

يشير حضرته إلى أن الله تعالى يقول لأمم الأنبياء جميعا اجتماع هذه الأمم هو لأنكم أمة واحدة) وأنا ربكم فاعبدوني جميعا. (كما أن الله تعالى جمع أمم جميع الأنبياء المتفرقة وجمعهم على الإسلام كذلك مثل الوحدة التدريجية، قال الطَّيِّلا:) إن مَثل هذه الوحدة التدريجية كمَثل أمر الله تعالى أن يجتمع الناس في مسجد حارهم خمس مرات يوميا، ثم أمرهم أن يجتمعوا جميعا في اليوم السابع في مسجد جامع في مدينتهم، أي في مسجد يتسع الجميع. ثم أمر أن يجتمعوا من المدينة كلها والقرى المجاورة في مقام واحد أي في مصلى العيد بعد عام. ثم أمرهم أن يجتمعوا من العالم كله مرة في حياتهم في مقام واحد أي في مكة المعظمة. فكما أن الله تعالى بلّغ اجتماع الأمة تدريجيا إلى الكمال بمناسبة الحج إذ وضع الاجتماعات الصغيرة أولا ثم أمر العالم كله للاجتماع في مقام واحد، فهذه هي سنة الله في كتب موحى بها أيضا. وقد أراد الله تعالى من وراء ذلك أن يبلّغ حلقة وحدانية الله إلى الكمال، وذلك بخلق الوحدة في أجزاء صغيرة في مختلف البلاد ثم يجمع الجميع في نهاية المطاف في مقام واحد مثل اجتماع الحج كما جاء الوعد في القرآن: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾. أي سيجمع الله الناس السعداء بندائه في الزمن الأخير على دين واحد كما كانوا في البداية لكي تتحقق العلاقة بين الأول والأخير.

باختصار، كان الناس في البداية أمة واحدة ثم حين انتشروا في الأرض كلها قسمهم الله على أمم مختلفة من أجل سهولة التعارف وقرر لكل أمة دينا يناسبهم كما يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٤) ثم يقول: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (المائدة: ٤٩) ليبلوكم في ما آتاكم: أي لنُظهر مواهب الطبائع المختلفة بواسطة تعاليمنا. فاستبقوا أيها المسلمون الخيرات لأنكم مجموعة الأمم كلها وتجمعون فيكم طبائعهم كلها. (باختصار، ستجتمع أمم جميع الأنبياء السابقين في الإسلام، لذا جاءت في الإسلام جميع الطبائع، ومجموعة جميع الأمم وجميع الأديان أصبحت الإسلامَ) فبناء على الأسباب المذكورة قسّم الله البشر إلى أمم عديدة."

فاليوم نحن نحتاج إلى أن نفهم هذا الأمر أكثر من الجميع لكي نستطيع أن نخبر العالم بضرورة الدين وأهميته، ولكي نتمكن من نشر رسالة الإسلام الجميلة في بلادنا وفي بلاد أخرى مؤدّين حق بيعة المسيح الموعود الطَّيِّلا، ولكي نلعبَ دورنا في درء فساد العالم، ونُـــخرجَ العالم من براثن الشيطان التي يقع فيها العالم يوما بعد يوم، وتهاجم القوى الشيطانية الدينَ بشدة أكثر من ذي قبل. فبلّغوا الرسالة

المسلمين وادعوا لهم أيضا وكذلك بلّغوها غير المسلمين وادعو لهم لكي يعرف كل شخص إلهَ العالم الذي يريد أن يرتفع الفساد من العالم ويؤدّي العباد حقوق بعضهم البعض، والذي يريد إقامة الوحدة في العالم. وفّقنا الله تعالى لذلك. تعالوا ندعو. (الدعاء)

****